المحاضرة (1): مدخل نظريّ: تحديد المصطلحات اللّغويّة التّراثيّة: النّحو، علم العربيّة، علوم العربيّة، الإعراب، فقه اللّغة، اللّسانيات، اللّسانيات العربيّة، لسانيات العربيّة.

تمهيد: عرفت الدّراسات اللّغويّة في الحضارة العربيّة عبر مراحل تاريخها، عدّة اصطلاحات تمّ اعتمادها في التّعبير عن مختلف العلوم اللّغويّة الّتي تقاربت في حدودها، ما جعلها تلتبس على طلبة الدّراسات اللّغويّة في أحايين كثيرة، لدرجة عدم إدراك الفوارق بينها، لاشتراكها في الموضوع باعتبار كلّ منها يمثل عِلْمًا لغويّا، غير أنّها تختلف من حيث المفهوم باعتبار أنّ لكلّ منها هدفا ليس في غيره من هذه العلوم، وهو ما يستلزم منّا تحديد الفوارق بينها، ومن جملة هذه الاصطلاحات: النّحو، علم العربيّة، علوم العربيّة، الإعراب، فقه اللّغة، اللّسانيات، اللّسانيات العربيّة، لسانيات العربيّة.

1- النّحو: ظهر مصطلح النّحو في مرحلة متقدّمة من تاريخ الدّراسات اللّغويّة العربيّة، عند النّحاة*[1] الأوائل الّذين أطلقوه في القرن الثّاني للهجرة على العلم الذي يُعنَى ببنية اللّغة إفرادا وتركيبا فشملت الكتب الأولى لعلم النّحو أبواب العلمين معا النّحو والصّرف، كما جاء في كتاب (الكتاب) لسيبويه (180هـ) والمقتضب للمبرد (285هـ) والأصول في النّحو لابن السّراج (316هـ) والتّفاحة في النّحو

---

* النّحاة: (ج) نحويّ: وقد أُطلِق مصطلح النّحويّ في مقابل مصطلح اللّغويّ في الدّراسات اللّغويّة العربيّة على كلّ مشتغل بدارسة بنية اللّغة إفرادا (الصرف) أو تركيبا (النّحو) في حين أُطلِق مصطلح اللّغويّ على كلّ مشتغل باللّغة جمعا وتصنيفا وتأليفا، وهما في هذا يشبهان إلى حدّ كبير عمل الفقيه والمحدّث "وقد ميّز عبد اللّطيف البغداديّ اللّغويَّ من النّحويِّ بقوله: اعلم أنّ اللّغويّ شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدّاه، وأمّا النّحويّ فشأنه أن يتصرّف فيما نقله اللغوي ويقيس عليه، ومثالهما المحدّث والفقيه، فشأن المحدّث نقل الحديث برمته، ثم إنّ الفقيه يتلقاه ويتصرّف فيه ويبسط فيه علله ويقيس عليه الأمثال والأشباه. وهذا التمييز أيضا يؤكد أن عمل اللغويّ كان مقصورا على جمع الألفاظ اللغوية كما يروي المحدّثون نصوص الحديث." ينظر: عبده الرّاجحي، فقه اللّغة في الكتب العربيّة، دط. بيروت: 1972، دار النّهضة العربيّة، ص37.

ولقد وصف أبو الطيب اللغوي (351هـ) أبا زيد والأصمعي وأبا عبيدة. وقارنهم من جانب معرفتهم باللغة. قائلا: كان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها. والمقصود هنا بكلمة اللغة مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها. وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر؛ لذا عُدَّ سيبويه والمبرِّد من النّحاة، بينما عُدّ الأصمعيّ وأقرانه من اللّغويين، وأصبح اللّغويّ هو الباحث في المفردات جمعًا وتصنيفًا وتأليفًا، فالأصمعي لغوي لأنه جمع ألفاظ البدو وسجلها في رسائل لغوية مصنفة في موضوعات دلالية، والخليل لغوي لأنه أول من حاول حصر الألفاظ العربية وتسجيلها في معجم، وابن دريد لغويّ أيضا لأنه ألّف معجمه جمهرة اللغة والأزهري لغويّ لأنّه ألف معجمه تهذيب اللّغة. ينظر: محمود فهمى حجازي، علم اللّغة العربيّة، دط. دب: دت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص65.

لأبي جعفر النّحاس (338هـ) والجمل للزّجاجي (340هـ) واللّمع في العربيّة لابن جنّي (392هـ) والمفصّل للزّمخشري (538هـ) وذلك للعلاقة التي كانت تجمع العلمين معا؛ إذ كلاهما كان يجمعه هدف عام هو التقعيد لكلام العرب مفردا ومركبا؛ أي سواء من جهة البناء الخاص بأبنيّة الكلمات أو من جهة الإعراب الخاص بأواخرها، إلا أنّه سرعان ما اتّسعت أبواب علم الصّرف فأُفرِدت له الكتب الخاصّة به نحو ما جاء في كتاب (التّصريف) لأبي عثمان المازني (249هـ) وكتاب (التّصريف الملوكي) لأبي الفتح عثمان بن جنّي (392هـ) وكتاب (المفتاح في الصّرف) لعبد القاهر الجرجاني (471هـ) وكتاب (الممتع الكبير في التّصريف) لابن عصفور (669هـ) أو فُصِل في كتاب واحد بين أبوابه وأبواب علم النّحو، وصار بعد هذا الفصل بين العِلمَيْن، علم النّحو مقتصرا في أبوابه على دراسة أواخر الكلمات وعلم الصّرف مقتصرا في أبوابه على دراسة أبنيتها.

وقد عُرِّف النّحو على هذا الأساس بأنه "علم بأصول يُعْرَف بها أحوال الكلم إعرابا وبناء." والعلم بأصول؛ أي العلم بالقواعد الكليّة التي تنطبق على جزئيّاتها، نحو قاعدة كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب، وكلّ مضاف مجرور، وكلّ ما شابه الحرف من الأسماء، فهو مبنيّ وغيرها من القواعد فتنطبق على كلّ جزء مما ذُكِر قاعدة الكلّ. ويُعرَف بها؛ أي بسببها، وأحوال الكلم؛ أي ما يعرض للكلم بالتركيب، من الكيفية، والتّقديم والتّأخير. وإعرابا وبناء؛ أي من حيث الإعراب والبناء.[1]

وعُرِّف الصّرف على أساس أنه "عِلْمٌ بأُصُولٍ تُعْرَفُ بها أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ الكلم الّتي ليست بإِعْراب"[2] ويُقصَد بالأصول القواعد الكلّيّة المنطبقة على أبنية الكَلِمِ العربيّة في تصريفها، نحو: قواعد تصريف الأفعال وتصريف الأسماء. أمّا أحوال هذه الأبنيّة فيُقْصَد بها ما تتصرّف إليه هذه الأبنيّة، نحو حالة الماضي والمضارع والأمر بالنّسبة للأفعال، وحالة التّثنيّة والجمع والتّصغير والنّسبة بالنّسبة للأسماء. وهي الأحوال التي يمكن أنْ تتصرّف إليها الكلم العربيّة. أمّا أبنيّة الكلم؛ فيُقصَد بها هيئة نَظْمِ حروف الكلمة وحركاتِها وسكناتها، عدا حركة آخرها (حركة الإعراب)؛ لأنّ طبيعتها على آخر الكلمة يحدِّدها التّركيب. وباعتبار أنّ للكلمة حالتان حالة بنائها وحالة إعرابها، فقد أخرج تّعريف الرّضيّ حالة الإعراب من مفهوم علم الصّرف؛ لأنّها مجال علم النّحو.

---

[1]– عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، ط2. القاهرة: 1988، مكتبة وهبة، ص52–53.

[2]– نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دط. بيروت: 1975، دار الكتب العلمية، ج1، ص1.

2- علم العربيّة: ظهر مصطلح علم العربيّة في الدّراسات اللّغويّة العربيّة في أواخر القرن الرّابع الهجري (4هـ) مرادفا لعلم النّحو، وأوّل من استعمل هذا المصطلح بهذا المعنى، هو أحمد ابن فارس (395هـ) في كتابه (الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، وسنن العرب في كلامها) في قوله "وكذلك الحاجة إِلَى علم العربية، فإنّ الإعراب هو الفارق بَيْنَ المعاني. ألا ترى أنّ القائل، إِذَا قال: "مَا أحسن زيد" لَمْ يفرّق بَيْنَ التعجب والاستفهام والذمّ إِلاَّ بالإعراب."[1] وجاء استعمال ابن فارس لعلم العربيّة مرادفا لعلم النّحو، على أساس أنّه السّبيل إلى العربيّة، وقد تبعه في ذلك غيره من نحاة المشرق كالزّمخشري (538هـ) في كتابه (المفصّل في علم العربيّة) وابن الأنباري (537هـ) في كتابه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) حيث أفرد بابا لواضع علم النّحو، تحت اسم (أوّل من وضع علم العربيّة) كما اسْتخدَم هذا المصطلح بهذا المعنى في عدّة مواضع من الكتاب، وكذلك السّيوطي (911هـ) الذي الف كتابا بهذا الاسم (سبب وضع علم العربيّة) وفي كتابه (المزهر في علوم اللّغة وأنواعها) حيث قال: " وأخذ النّاس علم العربيّة عن هؤلاء الّذين ذكرنا من علماء المِصْرِيَنْ."[2] وهو يقصد بعلم العربية النّحوَ، وعلماءِ المِصْرَيْنِ البصرةَ والكوفةَ.

وقد كان استخدام مصطلح علم العربيّة مرادفا لعلم النحو في كتب المشارقة في القرون التّاليّة يمثّل ظاهرة فرديّة محدّدة، على نحو ما نجد في مؤلّفاتهم، ولكنّ سرعان ما انتقل إلى المغاربّة والأندلسيّين الّذين كانوا يفضّلون وصف علم النّحو بعلم العربيّة.[3] فقد جاءت معظم مؤلّفاتهم النّحويّة تحت هذا الاسم منها: (الدّرّة الالفية في علم العربيّة) لابن معط (628هـ) ومتن (الكافية الشّافية في علم العربيّة) لابن مالك (672هـ) وغيرها من المؤلفات النّحويّة التي فضّلت استخدام علم العربيّة على علم النّحو في عناوينها أو متونها.

3- علوم العربيّة: إِعتُمد هذا المصطلح في الدراسات اللّغويّة العربية للتمييز بين علوم اللّغة العربيّة وعلوم الشّريعة، وعلوم العربيّة هي العلوم التي يُحتَرز بها عن الخطأ في العربيّة لفظا وكتابة

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة وسُنَنِ العرب في كلامها، تح: محمد علي بيضون، ط1. دب: 1997، ص35.

[2]- جلال الدّين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، ط1. بيروت: 1998، دار الكتب العلمية، ج2، ص349.

[3]- محمود فهمى حجازي، علم اللّغة العربيّة، دط. دب: دت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص61-62.

وهي ثلاثة عشر علماً: الصّرفُ، والإعرابُ (ويجمعهما اسمُ النحو) والرّسمُ، والمعاني، والبيان، والبديع والعَروض، والقوافي، وقَرْضُ الشّعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخُ الأدب، ومَتْنُ اللّغة*[1].

4- الإعراب: يُعَدُّ الإعراب ظاهرة نحويّة خاصّة باللّغة العربيّة، انشغل بها النّحاة الأوائل وأسّسوا لها علما يعنى بتفسيرها، وهو علم النّحو. ويدلّ الإعراب في اللّغة على الإبانة كما في قول النّبي ﷺ "الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفسها"؛ أي تُبِين وتفصح، والحُسُن كما في قوله تعالى ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: 38]. ج: عَرُوب، وهي المرأة الحسناء المتحبِّبة إلى زوجها.[2] أمّا الإعراب في الاصطلاح فهو تغيّر أواخر الكلم بتغير العوامل الدّاخلة عليه، وعلاماته أربع الرَفع، والنَصب، والجرّ، والجَزْم. وعكسه البناء الذي هو لزوم آخر الكلمة حركة واحدة، لا تتغيّر بتغيّر العوامل الدّاخلة عليها، وعلاماته أربع: الضّم، والفتح والكسر، والسّكون.[3]

5- فقه اللّغة: ظهر مصطلح فقه* اللّغة في تاريخ الدّراسات اللّغويّة العربيّة، متأخّرا مقارنة بمصطلح النّحو، ويعود أوّل استعمال له إلى القرن الرّابع الهجريّ، مع أوّل كتاب في فقه اللّغة، وهو كتاب (الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، وسنن العرب في كلامها) لأحمد ابن فارس (395هـ) الذي جمع فيه بين موضوعات شتى تتعلّق باللّغة في مفرداتها، منها أصل نشأة اللّغة، وأفضلية اللغة العربية على غيرها من اللّغات، واختلاف لهجاتها، وغيرها من مباحث الاشتقاق. ولم ينتشر مصطلح فقه اللغة إلا بقدر محدود في الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، فقد تبع ابنَ فارس في استعمال هذا المصطلح أبو منصور الثّعالبيّ (429هـ) الذي جعله عنوانا لأحد كتبه (فقه اللّغة وسرّ العربيّة) وهو كتاب يختلف عن

---

* يقصد بعلم متن اللّغة العلم الّذي يعنى بمفردات اللّغة جمعا وتنظيما وتأليفا، أي معرفة أوضاع المفردات اللّغويّة، من حيث الاستعمال، ويسمى هذا العلم علم المتن، لأنّ هذا المتن هو ظهر الشّيء ووسطه وقوّته، وهذا العلم تعلق بذات اللفظ ومعناه. ينظر: (محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربيّة، ص67.)

[1]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربية، ط8. بيروت: 1993، المكتبة العصرية، ص8.

[2]- ينظر: جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ط3. بيروت: 1414، دار صادر، مادة (عرب).

[3]- ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة، ص18.

* جاء في لسان العرب أنّ مادة (ف ق هـ) تدّل على "الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ والفهمُ لَهُ، وغَلَبَ عَلَى عِلْمِ الدِّينِ لسِيادَتِه وَشَرَفِهِ وفَضْلِه عَلَى سَائِرِ أَنواع الْعِلْمِ." ينظر: أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص522. وقد انتقل مصطلح (فقه) بمعناه الاصطلاحيّ؛ أي العلم بأحكام الشّرع؛ إلى علماء اللّغة الذين أطلقوه على أحد علوم اللّغة، وهو الأنسب للتّعبير عن طبيعة هذا العلم؛ باعتبار أن فقه اللّغة يحتاج إلى علم وفقه أعمق بطبيعة اللّغة؛ من حيث أصلها وتاريخها، وخصائصها، وعلاقتها بغيرها من اللّغات. أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص522.

الأوّل في موضوعاته؛ حيث تعرّض صاحبه من خلاله إلى دلالة الالفاظ اللّغويّة، جاعلا إياها في حقول دلاليّة تجمع الالفاظ المتّصلة بموضوع واحد.*

وقد اتُخِذ بعدها هذا المصطلح عنوانا للعديد من الكتب الحديثة، وهذا بعد أن تقرّر تدريسه في الجامعات المصريّة، وأهمّ هذه الكتب: فقه اللّغة لعلي عبد الواحد وافي، وفقه اللغة لمحمّد المبارك ودراسات في فقه اللّغة لصبحي الصّالح.* وقد تناولت هذه الكتب مباحث متفرّقة من موضوعات فقه اللّغة منها: نشأة اللّغة، وتاريخها، وخصائصها، وعلاقتها بغيرها من اللّغات، والّتي على أساسها تمّ تعريف فقه اللّغة بأنّه: العلم الذي يعنى بدراسة اللغة من حيث نشأتها، وتاريخها، وخصائصها، وعلاقتها بغيرها من اللّغات. ومن جملة مباحثه:

- نشأة اللّغة وتاريخها؛
- خصائصها: الصّوتيّة، والصّرفيّة، والتّركيبيّة، والدّلاليّة (كالاشتقاق، والنّحت، والتّرادف...)؛
- علاقتها بغيرها من اللّغات: من حيث التّأثر والتّأثير (المعرّب والدّخيل).

6- اللّسانيات: ظهر هذا المصطلح في الدّراسات اللّغويّة العربيّة حديثا، مقابلا لمصطلح (Linguistique) في المغرب العربيّ، في الوقت الذي كان قد ظهر فيه مصطلح (علم اللّغة) مقابلا له في المشرق، وقد عرف هذا المصطلح في اللّغة العربيّة عدّة تسميات، ظهرت في العصر الحديث في عناوين المقالات والبحوث العلميّة، مثل مصطلح: علم اللّغة، واللغويات، وفقه اللّغة، والألسنيّة، وعلم اللّسان، وعلم اللّسانيات ...إلخ. وفي سنة 1978 نظمت الجامعة التونسية، ندوة تحت عنوان (الألسنيّة واللّغة العربيّة) وأجمع المشاركون في أشغال النّدوة، على أنَّ أيسر المصطلحات المتداولة في البلدان العربية، وأقربها إلى روح اللّغة العربيّة، مصطلح (اللّسانيات) وهو المصطلح الذي وضعه الأستاذ الدّكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وسُمِّي به معهد متخصّص بالجزائر، وأصدرت به أيضا مجلة متخصّصة في علوم اللّسان، ونقول اللّسانيات على قياس الرّياضيات ولا نقول علم اللّسانيات؛ لأن اللاحقة (ات) تقابل اللاحقة (ique) الدّالة على العلم. واللّسانيات كما جاء في (قاموس اللّسانيات) لجون

---

* تناول القسم الخاص بفقه اللغة في كتاب (فقه اللغة وسر العربية) المفردات في مجموعات دلالية: النبات والشجر أنواع الحيوان، الطعام، الثياب، الإبل، الآلات، والأدوات أوائل الأشياء وأواخرها، الطول والقصر، اليبس واللين، القلة والكثرة، الملء والصفورة والخلاء، الأصول والرّؤوس والأعضاء والأطراف، الأمراض والدّواء، الأصوات وحكايتها الحجارة... إلخ. ينظر: محمود فهمي حجازي: علم اللّغة العربيّة، ص66.

* للمزيد من الاطّلاع حول الكتب التي الفت في (فقه اللّغة) ينظر: مشتاق عبّاس معن، المعجم المفصّل في فقه اللّغة، ط1. بيروت: 2001، دار الكتب العلمية، ص17.

ديبوا (Jean Dubois) "هي العلم الّذي يدرس اللّغة الإنسانيّة، دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيدا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة."[1]

7- اللّسانيات العربيّة: شاع هذ المصطلح في العصر الحديث بين أوساط الدّراسين العرب، بعد أن ساد الاعتقاد بأنّ هناك لسانيات عربية تقابل اللّسانيات الغربيّة، وأُطْلِق بذلك مصطلح اللّسانيات العربيّة على مجمل الدّراسات اللّغويّة الّتي أُنجِزت في الحضارة العربيّة. والحقيقة أنّنا إذا اعتبرنا مجمل هذه الدّراسات اللّغويّة مرحلةً من المراحل التي أسهمت إلى جانب الدّراسات اللّغويّة للحضارات الإنسانية بما فيها الهندية واليونانية والرمانية، في تطوّر اللّسانيات عبر مراحل تاريخها، فإنّه يمكن أنْ ينطبق عليها هذا المصطلح. أمّا إذا اعتبرناها علما قائما بذاته على نحو ما هو سائد من الاعتقاد، فإنّنا نكون قد نسبنا اللّسانيات لأنفسنا، ونكون بذلك كمن يطالب بفيزياء عربيّة أو رياضيات عربيّة، والحقيقة أنَّ العلم يُنسَبُ لموضوعه لا إلى الجنس الّذي أبدعه.[2]

8- لسانيات العربيّة: يطلق مصطلح لسانيات العربيّة على الكتابة اللّسانيّة المتخصّصة، الّتي تعتمد اللّغة العربيّة موضوعاً تشتغل به، ويتمحور حوله كلّ اهتماماتها. ويتمّ النّظر للّغة العربيّة باعتبارها نسقا صوريّا أو وظيفيّا، يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التّحليل اللّساني الحديث. ولا يخرج المنهج في لسانيات العربيّة عن نطاق المناهج العلميّة المتداولة في البحث اللّساني العالميّ، منذ منتصف القرن التّاسع عشر، مثل المنهج التاريخيّ، والمقارن، والوصفيّ، والتّقابلي وتسعى لسانيات العربيّة من حيث الهدف، إلى تقديم وصف جديد لبنيات اللّغة العربيّة، على نهجٍ غير معروف في الثّقافة اللّغويّة العربيّة القديمة، وفق ما وصل إليه البحث اللّسانيّ العامّ."[3]

تطبيق:

س1- حدِّد من خلال ما درست في المحاضرة مفهوما دقيقا للّسانيات العربيّة؟

س2- هل يمكن اعتبار اللّسانيات العربيّة أو البحث اللّسانيّ في الحضارة العربيّة، مقابلا للّسانيات الغربيّة أم مرحلة من مراحل تطوّرها، ولماذا؟

---

[1]- Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique, Paris: 1973, p300.

[2]- ينظر: يوسف منصر، الخطاب اللّساني المغاربيّ، أصوله، مفاهيمه، إجراءاته -عبد الرّحمن الحاج صالح، عبد السّلام المسديّ، عبد القادر الفاسيّ الفهريّ نماذج- رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: البشير إبرير، جامعة باجي مختار-عنّابة، الجزائر: 2013، ص436.

[3]- مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة: دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة، سلسلة رسائل وأطروحات جامعة الحسن الثّاني عين الشّق، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة الرّباط: 1991، ص92.